

التجديد في علم التوحيد

عند وحيد الدين خان

الدكتور صالح نعمان

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة

تقديم:

لقد دعا وحيد الدين خان إلى تجديد علم الكلام، كما دعا إلى ذلك محمد عبده ومحمد إقبال، ثم مجموعة من المفكرين المسلمين المعاصرين، أمثال عبد المجيد النجار وغيرهم. ومنهم من جسّد هذه الدّعوة في كتابات دون أن يدعوا إليها صراحة، مثلما نجد في كتاب "عقيدة المؤمن" للشيخ محمد الغزالي -رحمه الله- وكتاب "الإيمان والحياة" للدكتور الداعية يوسف القرضاوي، وكتاب "الإيمان وأثره في حياة الفرد والمجتمع" للدكتور حسن الترابي.

وهؤلاء العلماء والمفكرون يتحلّى في كتاباتهم هذا الاتجاه التقديري في عرض العقيدة الإسلامية، وهو منهج يعتمد على معالجة العقيدة الإسلامية من منظور إسلامي واضح، باستخدام الأدلة العقلية الصريحة، لتعضد الأدلة النقلية، مضافا إليها أثر العقيدة في حياة الأفراد والمجتمعات، ونتائج ذلك في الحياة الآخرة.

وهذا الأخير (أثر العقيدة) هو وجه التجديد في هذه الكتابات، بعدما ابتعدت الكتب العقائدية الكلامية القديمة عن واقع الناس، وأصبحت عبارة عن مجالات نظرية صورية، وضرب من الترف الفكري، وهذا المنهج موجّه بالدرجة الأولى إلى المسلمين بكل مستوياتهم. بينما تبني مفكرنا وحيد الدين خان منهجا تقريريا تقديريا مبنيًا على منجزات العلم الحديث والأدلة الطبيعية، أو الشواهد العلمية الكونية،

التجديد في علم التوحيد ----- د. صالح نعمان

تماشيا مع قوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِي مِنْهَا اَيُّهَا لَهِيَ فَلَاقِلْ وَلَوْ تَوَافَا اَلْأَنْفُسُ مِنْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ اَنَّهُ

الْحَقُّ¹. ويهدف إلى بيان ثقافتنا الفكرية الماديَّة من قضية الإيمان، وأن العلم يقوي

وبدء الاعان. وهو منج موجّه إلى منكري الدين، والذين يرون عدم أحقية

الإسلام في أن يكون ديناً عاماً خاتماً للأديان. كما يطلبه ويستفيد منه كثير من

المسلمين، الراسخي العقيدة من باب ﴿لِيُطْمِئِن قُلُوبُ﴾، حتى يجدوا جوابا علميا مقنعا

للكثير من التساؤلات، ولا يعترفهم شعور بالنقص في صحة عقيدتهم في هذا العصر

عصر العلم والتفكير العلمي القائم على المشاهدة والتجربة.

ويقصد بتحديد علم الكلام، استجلاء حقائق الدين بالأدلة التي تطمئن

الذهن الجديد والعقلية الجديدة، وتوصل التعاليم الإسلامية بأحدث أساليب

الإشتمال إلى الملائمة للوقوع الجديده 3. فتجديده علم الكلام عنده يقوم عليه وكسرتين

أساسيتين هما:

أولاً: أمة التجديد، الذي يعتمدها في القضايا، والمساائل، في المنهج

والأستطوب؛ ذلكم لأن المسألة والقضية العقديّة مصدرها هو الوجه، والمصدر العقيد

المشيرة الذي تقصده في فطرها واسمها وأما المنهج والأسلوب فهما

يتغيران ويتطوران بتغيراً وتطور الزمالة والمكان ومن ثم يولد إدراك الناس في عبقها

تِلْكَ اَلْمَدِينَةُ الَّتِي كُنَّا نَمْنَعُ عَنْهَا اَلْمَاءَ بِاَلْغُلَّةِ الَّتِي كُنَّا نَجْعَلُ فِيهَا حِمْلًا ثَقِيلًا

4 سورة فصلت، الآية 53 ترجمہ: اور اس لئے کہ ہم نے تم کو ایمان عطا کیا ہے اور تم کو اپنے لئے قریب لگا دیا ہے۔

٢٤ - أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي عمير، الملقب بالعمري، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، كان من المشايخ الأعلام في عصره.

ط 44-1978 ط 4. نالو زیدلایلیه لایحه رتبه لایحه. جملتی متسه لایحه نیمه لایحه

التحديد في علم التوحيد ----- د. صالح نعمان

الجديد؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: مبررات تجديد علم التوحيد

إن دعوة مفكرنا إلى تجاوز صور الاستدلال القديمة، وإنشاء منهج جديد يقوم على أسس المنهج القرآني، ويلائم العقلية الجديدة، هذه الدعوة لها دواع وأسباب نجتمعها في سببين أساسيين، هما:

أ- عدم ملاءمة كثير من طرق الاستدلال القديمة للواقع الذي نعيشه اليوم، ولنطلق العصر، بل عدم ملاءمتها حتى مع الواقع الذي كان يحياه المسلمون في كل المستويات في تلك العصور. وذلك لأنها كانت تُبنى على نخط الاستدلال الفلسفي، أي تقوم على التولدات والإلزامات، دون أن تغذي القلب أو تطمئن العقل. ولأن معظم هذه الطرق إما أنها ليست برهانية، لاعتمادها على مقدمات قابلة للمناقشة، أو أثبت العلم الحديث بطلانها، مثل فكرة الجوهر الفرد، والجزء الذي لا يتجزأ، التي أثبت بطلانها تفجير الذرة.

إن علم الكلام القديم تجاوز منهج القرآن الكريم السهل الواضح الملائم لكل المستويات، وانحرف عنه، ووضع بنية الاستدلال الإسلامي على أساس المنطق القياسي، فعّد مرادفاً لعلم المنطق، بينما وضع القرآن الكريم بنية الاستدلال الإسلامي على أساس الشواهد الطبيعية¹ (الأنفس والآفاق).

ب- اختلاف العقلية الجديدة عن العقلية القديمة، التي تهما الحقائق²، إذ بناءً على تطور العلم واطارده، وما أحدثه من ثورة فكرية في التاريخ الإنساني، هتم

1 - وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 105.

2 - المصدر السابق، 102.

التحديد في علم التوحيد ----- د. صالح نعمان

العقلية العلمية بتقديم الكلام على أساس التجربة والمشاهدة، لا على أساس التخمينات أو القياسات المنطقية التجريدية الصورية. وعليه أصبح الإنسان المعاصر، لا يقبل فكرياً إلا إذا عرف أنه يطابق الحقائق المعلومة، وينظر إلى الطرق الاستدلالية القديمة على أنها طرق باطلة، لا أساس لها¹. وطالب بإخضاع الحقائق الدينية -إذا كانت حقائق صادقة- للمقاييس العلمية الحديثة للاستدلال، وإلا جاز للعقل الحديث أن يشك في صحة حقائق الدين.

وظن منكرو الدين أن العلم قد حل كل شيء، وأن عصر الإيمان قد ولى، فلا ضرورة في نظرهم لفرضية "الإله" لتفسير الكون، لأنهم يستطيعون تفسير الكون بكل مراحل في ضوء الاكتشافات الحديثة دون اللجوء إلى الإله². ومن ثم كان موقف علماء الدين في نظرهم أشبه برجل يكتب "صكاً" لا رصيد له في البنك، فهم قد صاغوا عبارات لا تكمن وراءها حقائق³.

ولكن حقيقة الأمر أن الثورة العلمية المعاصرة في كل المجالات تخدم السدين الإسلامي، وتدعم أصوله وقضاياه، إذ لا تنفك تكشف كل يوم عن جديد من القوانين والحقائق التي تؤكد وجود الحقيقة الكبرى "الله". وأن دعاوى معارضي الدين باطلة، لأنها تفقد الدليل⁴، فالطبيعة لا تفسر الكون، وإنما هي نفسها في

1 - وحيد الدين حان، الدين في مواجهة العلم، ص 03

2 - المصدر السابق، ص 50-51.

(3) - المصدر السابق، ص 6.

4- TREMNTANT.C. Sciences de l'Univers et problemes
méthaphisiques. Ed. du seuil, Paris, 1976.

التجديد في علم التوحيد ----- د. صالح نعمان

حاجة إلى تفسيرو، كما يقول أحد العلماء المسيحيين، لأنها مجرد حقيقة من حقائق الكون، ولا يثبت كالتفسير له¹ له. فهو محض قياس على ما نرى في الطبيعة أو ما نلاحظه في الحياة. إن الله كما يقول مفكرنا المسلم الجليل في الدين والادب في الكون، بسلطة هذه القيول التي اكتشفت علومها الجديدة بلخص الجرائها فقط، حتى بالآن² ولا يمكن اعتبارها قبلها القوانين والاكتشافات. بديلاً للإله كما نرى في العلم معطوياً الدين - فلهذا وقاله صالح وبناء على ذلك، يتجلى لنا الفرق بين علم الكلام القديم وعلم الكلام الجديد، وكما قال وحيد الدين ديقاق، هنا تلك الفجوة بين علم الكلام القديم وعلم الكلام الجديد، ونصل إلى حد القطيعة³ بينهما "هاك" فيه هذا هو العلم في قوله تعالى "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم" ونبرز كذلك ضرورة تغيير المناهج الكلامية لإصلاح وأغبيات متجذرة في اليقين شديد أن تؤسس موقفها على الأرض من المعرفة الجديدة التي اخترقها الآفاق، فتدفع الشكوك وتثبت الإيمان وترقيه، وتظلم عن القلوب، ومن ثم لمواجهة تحدي العصر الحديث، يجب أن ينبغي النهج الجديد في عصرنا هذا على غميط الاستدلال الطبيعي ونبرز من الحقائق والشهادات الواقعية⁴ كما ذكرنا في المقدمة عامية في هذه المسألة.

البحث الثاني: علم الكلام الجديد (مبادئه وتطبيقاته)

في هذه الدعوة وحيد الدين خان إلى تجاوز طرق الاستدلال القديمة واستبدالها بعلم الكلام الجديد، ما هي في حقيقة الأمر إلا دعوة إلى العودة إلى منهج القرآن الكريم،

1- د. ديقاق، فقهنا، ص 10. 2- د. ديقاق، فقهنا، ص 10. 3- د. ديقاق، فقهنا، ص 10. 4- د. ديقاق، فقهنا، ص 10.

1 - وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص 53.

2 - 12-100 د. ديقاق، فقهنا، ص 10.

2 - وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص 54.

3 - د. ديقاق، فقهنا، ص 10.

3 - وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 103.

4 - المصدر نفسه، والإسلام يحدي ص 30.

4 - المصدر نفسه، والإسلام يحدي ص 30.

الاستدلال الجديد في علم التوحيد

والأخذ بمنجزات العلم المعاصرة، وذلك لأن نمط الاستدلال القرآني إنما هو نفس نمط الاستدلال الجديد، الذي يعبر عنه بالاستدلال بالحقائق الطبيعية¹

فالتعليم الذي أعطاه الله في كتابه بصورة عامة، جعل الكون (بأنفسه) دليلًا علميًا لتأييده وتأكيدِهِ، ويحتل هذا الأسلوب للقرآني في كثير من الآيات، مثل قوله

تعالى: ﴿سُبْحَنَهُمُ اللَّيْلُ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَلْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبْتَلِيَهُمْ أَنَّهُ الْبَحْرُ﴾²، وقوله:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾³، وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْرَةِ كَيْفَ

خُلِقَتْ (وَالْإِبْرَةُ السَّمَاءُ كَيْفَ رُفِعَتْ) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (وَالْإِبْرَةُ الْأَرْضُ كَيْفَ

سُطِحَتْ)﴾⁴

وذلك النمط من الاستدلال تبناه الأنبياء والرسل عليهم السلام. فمثلاً يذكر لنا القرآن الكريم أنه لما دعا إبراهيم عليه السلام قومه المشركين إلى التوحيد أقام

الدليل على دعوته بمشاهدة الشمس والقمر والنجوم والكواكب⁵، وعقب الله تعالى

1 - المصدر السابق، ص 104.

2 - سورة فصلت، الآية 53.

3 - سورة الأنبياء، آية 30.

4 - سورة الغاشية، الآيات: 17-20.

5 - انظر سورة الأنعام: ﴿وَكَذَلِكَ يُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ (فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ الآيات 74-

78.

التجديد في علم التوحيد ----- د. صالح نعمان

على حجة إبراهيم قائلا: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾¹. فكانت الحجة الإلهية هي الاستدلال من الحقائق المعلومة المشاهدة لهذا الكون، (أي المعلومة في عالم الشهادة).

وبناء على هذا يبدو لنا أن القرآن الكريم والكون كليهما إظهاراً للمشئفة الربانية، وهو إظهار بصورة كلامية في مكان، وإظهار بصورة عملية في مكان آخر² في نظر وحيد الدين خان. فما هي إذن أسس ومبادئ المنهج الذي يقترحه وحيد الدين خان؟

يقوم منهج علم الكلام الجديد عند وحيد الدين خان على ركيزتين أساسيتين، تعدّ الأولى مدخلا للثانية، بالنسبة لمنكري الدين عموماً، وهما:

أ- عرض قضية معارضي الدين ونقدها.

ب- طريقة الاستدلال العلمي، أو مبادئ علم الكلام الجديد.

وقد عرض لهاتين الركيزتين في أربعة كتب له هي: الإسلام يتحدى، الدين في مواجهة العلم، قضية البعث الإسلامي، والإسلام والعصر الحديث.

أ- عرض قضية معارضي الدين ونقدها:

هذه الركيزة أساسية لتحطيم الحواجز التي أقامها الملحدون بين العلم والدين، فلا يمكن دعوتهم إلى الإسلام في هذا العصر والاستدلال على العقائد الإسلامية دون إبطال دعوة معارضي الدين وحججهم، وإثبات حقيقة الإيمان وأحقية الدين الإسلامي.

1 - سورة الأنعام، آية 83

2 - وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 104.

التحديد في علم التوحيد ----- د. صالح نعمان

وبهذا المنهج يتبع وحيد الدين خان منهج الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، إذ كان "يفرغهم ثم يملأهم". فكان من الضرورة إفراغ المشيعين بالمعتقدات والأفكار المعادية للإسلام من هذه الأفكار، حتى يمكن ملؤها بالعقيدة الإسلامية.

لهذا عرض قضية معارضي الدين الإسلامي التي قامت عليها المعارضة بكل أمانة، من واقع وجودها لدى زعمائها. وهي ثلاثة أسس:

الأساس الأول في ميدان الدراسات البيولوجية والطبيعية، والثاني في ميدان

علم النفس، والأساس الثالث في ميدان التاريخ¹.

ثم عمل على نقض ودحض هذه الأسس بالطريقة العلمية²، مستعملاً طرقهم ومقاييسهم، معتمداً على قاعدة هي: «إذا كان المبدأ هو أن الحقيقة ليست إلا نتاج الملاحظة والتجربة العلمية، فلن تستقيم قضية معارضي الدين إلا إذا توصلوا بالملاحظة والتجربة نفسها إلى أن الدين في حقيقته النهائية باطل»³. وقد اعتمد معارضو الدين على أربعة معايير ومقاييس للاستدلال العلمي استغلها وحيد الدين خان في نقد ادعائهم.

1. أن يكون الأمر المراد مشاهدته أو تجربته في متناول أيدينا مباشرة⁴.

2. ألا تكون الدعوة قابلة كلياً للملاحظة، بل يمكن مشاهدة بعض أجزائها،

1 - وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 35-40.

2 - المصدر السابق، ص 23.

3 - وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص 10.

4 - المصدر السابق، ص 6.

التجديد في علم التوحيد في صالح نعمان
وعلى سبيل المثال، فإن دعوى "الأرض كروية" لا يمكن أن يشاهدها الإنسان في
صورها الكاملة، لأنه يستطيع أن يشاهد أجزاء مختلفة، ثم كسب حقيقة أن الأرض
كروية. ¹ بؤ المنطة الطير ان مثلا، أو من الفضاء. ² كما نرى في العلم الاستعماري
3. إن الاستدلال يعتبر مقياسا علميا سليما إذا شوهدت بعض جوانب التجربة
التي تؤكد وجود حقيقة ما، وذلك بالرغم من عجزنا عن مشاهدة تلك الحقيقة
بكامل جوانبها في تلك التجربة. ² ومثال ذلك الإلكترون في الذرة الذي لا يخضع
للمشاهدة نظرا لشأهي وجوده في الصغر. ولكن بالرغم من ذلك يعتمد العلماء بأن
الإلكترون حقيقة علمية والسر، في ذلك أن له آثارا نشاهدها في صورة تجارب قابلة
للتكرار والإعادة. ³ فبالاستناد إلى التجربة غير المباشرة يستلم العلماء بوجود
الإلكترون مع أنه في ذاته فرض ³ كذا ذلك في العلم ذاته بل في العلم ذاته
4. القياس الرابع: هو الاستدلال بـ "القرينة الجائزة"، «المشاهدات والتجارب»،
وإن لم تكن مرتبطة بالقضية المطروحة، بالمعنى العلمي التكنيكي البحت، إلا أنه إذا
كانت هناك قرينة جائزة لتأييد تلك القضية، وذلك في حالة عدم وجود نظرية أقوى
لتفسير تلك المشاهدات، فإن ذلك الاستدلال بالقرينة الجائزة على القضية المطروحة
سيكون مقبولا وسليما» ⁴
فالتطبيق الصحيح لهذه المقاييس التي توصل إليها العقل الحديث توصلنا إلى

1 - وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص 70.

2 - المصدر السابق، ص 70.

3- TREMNTANT.C, op. cit, pp50-64.

4 - وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص 80.

التجديد في علم التوحيد

نتيجة مهمة، وهي: «أن العقل الحديث لا يحصر دائرة العلم في تلك الوقائع التي يمكننا تجربتها مباشرة، وإنما يعتبر أن أية قرينة منطقية تستند إلى تجارب ومشاهدات غير مباشرة، يمكنها أيضاً أن تصبح حقيقة علمية بنفس درجة الحقائق العلمية التي يمكن مشاهدتها مباشرة»¹.

وهذا يعني أن الدين في حقيقته يتعلق بميدان يقبل الأدلة العلمية، فهو ليس باطلاً. والعقيدة الإسلامية بناء على ذلك حقيقة لا يمكن إنكارها. والإلحاد أصبح مستحيلًا.

ب- طريقة الاستدلال العلمي (أو مبادئ علم العقيدة الحديث)
يقوم علم العقيدة الحديث على أربعة مبادئ لا يمكن فهمه إلا بفهمها، والاعتماد عليها، ولا يمكن الاستدلال على العقائد الإسلامية في هذا العصر بلذوها.

أولاً: أن علم الإنسان جزئي محدود بعالم الشهادة.

فالقرآن الكريم بين هذه الحقيقة بتقسيمه الآيات القرآنية إلى قسمين: محكمات ومتشابهات، فقال تعالى: «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات»².

أما المحكمات فعرّفها الجرجاني بقوله: «المحكم ما أحكم المراد به عن التبديل

والتغيير، أي التخصيص والتأويل والنسخ»³. فهي تتصل بدنيان المعرفة ونسبها.

- 1 - المصدر السابق، ص 15.
- 2 - سورة آل عمران، آية 7.
- 3 - الجرجاني (علي بن محمد بن علي)، التعريفات. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي بيروت، ط 2، 1992م.

التحديد في علم التوحيد ----- د. صالح نعمان

فهم مدلولاتها، مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾¹. والسعي لفهم مدلولاتها أو مفاهيمها أمر مفيد.

أما المتشابهات، فقد عرفها الجرجاني بقوله: «المتشابه ما يحفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلاً، كالمقطعات في أوائل السور»². لأنها تختص بأمور الغيب. وقد بين الله تعالى هذه الأمور بأسلوب رمزي مثل ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾³. وبين أن السعي لتعيين مدلولاتها سيعود بالضرر والخسران على المسلمين. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁴.

وما تنافر وتصادم الفرق الكلامية إلا بسبب محوضها في هذه الآيات، وابتغائها تأويلها إلى درجة الفتنة، مثلما وقع في قضية خلق القرآن. ولهذا نجد الله تبارك وتعالى لا يجيب عن الأسئلة المتعلقة بالأمور الغيبية كالروح والساعة (يوم القيامة)، وإنما يثبط همه السائل حتى لا يثير مثل تلك الأسئلة، لأن أجوبتها الحقيقية توجد خارج حدود إدراك الإنسان، فلا يستطيع أن يفهمها⁵.

ص 363.

1 - سورة المائدة، آية 38.

2 - الجرجاني، المرجع السابق، ص 253.

3 - سورة الأعراف، آية 54.

4 - سورة آل عمران، آية 7.

5 - وعيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 106.

فمثلاً يقول الله جل جلاله عن الروح: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾¹. ويقول عن الساعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُحَلِّهَا لَوْفَتَهَا إِلَّا هُوَ﴾².

فهناك حقيقة بشرية أقرها القرآن الكريم، هي "محدودية العلم البشري". لهذا كان ذلك التقسيم القرآني للعلم (لمحكم المتشابه) يتلاءم مع الطبيعة البشرية، كما يقول الأستاذ وحيد الدين خان³. ويتجلى لنا ذلك من المعطيات العلمية الحديثة، حيث أثبت العلم المعاصر بأن الحقيقة ليست محصورة فيما علمناه من التجربة المباشرة، كما بينا سابقاً. إذ يعترف الأستاذ ما دهر (MANDER) «أن الحقيقة التي نعرفها مباشرة تسمى الحقائق المحسوسة، بيد أن الحقائق التي توصلنا إلى معرفتها لا تنحصر في الحقائق المحسوسة، فهناك حقائق أخرى كثيرة لم نتعرف عليها مباشرة، ولكننا عثرنا عليها على كل حال. ووسيلتنا في هذا السبيل هي الاستنباط، فهذا النوع من الحقائق هو ما نسميه بالحقائق المستنبطة. والمهم هنا أن نفهم أنه لا فرق بين الحقيقتين، وإنما الفرق هو في النسبية من حيث تعرفنا على الأولى مباشرة، وعلى الثانية بالواسطة. والحقيقة دائماً هي الحقيقة، سواء عرفناها بالاستنباط أو بالملاحظة»⁴. وهذا الاعتراف يعني أن هذا المبدأ في علم الكلام الجديد يقوم على

1 - سورة الإسراء، آية 17.

2 - سورة الأعراف، آية 187.

3 - وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 107.

4 - A.E. Monder; dearer thinking. London, p41. نقلاً عن "الإسلام

يتحدى"، ص 63-64.

التحديد في علم التوحيد
 أساس علمي لما رآه من أن الله تعالى لا يشاء أن يكون له شريك في ملكه
 ثانية الاستدلال على الخلق بالطرق الطبيعية معلنا أنه مشيئة الله تعالى
 فكما ورد في القرآن الكريم: ﴿سَيَرَبَّيْهِمْ آيَاتُنَا فِيهِ الْآفَاقُ وَفِي أَنْفُسِهِمْ مَشَافِدُ﴾
 يَتَبَيَّنْ لَهُمْ أَنَّ الْحَقَّ) وقد أورد وحيد الدين غزالي أمثلة قويت في شرحه على ما بدأ غزالي في
 يأتي: (في تفسيره) فعليه (في تفسيره) معلنا أنه مشيئة الله تعالى

1. الإيعان بوجود الله تعالى لنا في علمه. قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَ أَيْدِيهِمْ وَلَا يُحِيطُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾
 لقد أقام القرآن الكريم أدلة المشاهدة على حقيقة اللاعودة إلى الإيعان بالله تعالى الذي
 خلق هذا الكون (في القرآن الكريم) أقام التكليمون: القائلون: أدلة قياسية تحت ضغط علميهم
 الفلسفية في القرآن الكريم: «أن هذا الكون الواسع الذي ترونه بأي العين ولا
 تتكبرونه، إنما هو في حده ذاته دليل على خالق الكون» (أو كما يسمونه الذين كفروا أن
 السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفإلام
 يؤمنون) 2. ففي هذه الآية إشارة إلى معادلة كوني يعمى: بطريقة الاستفهام الكوني
 (BIN-BANG) في العصر الحديث، التي تعتبرها العلماء حقيقة ثابتة بفضل
 البحوث العلمية الكثيرة المتتالية، إذ قال أحد علماء الفلك المعاصرين، وهو الأستاذ
 تروان ترون (TRINH THUAN): «إن أكبر دليل على الفلكيين نحو المليون يوم» (في علم الكون)

٢١. في رواية أخرى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ - 1

٢٨١. في رواية أخرى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ - 5

1 - سورة فصلت، الآية 53. ٢٠١. ربه (في تفسيره) شعاعا قوسية (في تفسيره) يبعث - 3

2 - سورة الأنبياء، الآية 30. ٣٠. London: gear thinking. ١٩٩٤. - 4

3 - وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 108. ٤٠-٤٥ ربه (في تفسيره)

التوحيد في علم التوحيد - ربه يتحدى صالح نعمان

خلق من أجل الإنسان، أي أنه كان مبرحاً¹. أي له خلق في أجله فيخلق من بينها
العناية بالإنسان بسبب غيبته له في الدنيا لا بعد في الدنيا في الدنيا في الدنيا
وهذه الحقيقة لغير محتمل الفيلسوف أبو الوليد ابن رشد "بأنه لا يمكن أن يكون
وجود الله تعالى وهو «موافقة لجميع الموجودات» لوجوده. الإعتناء في هذه الموافقة هي
ضرورة من قبل قاصد لذلك من أجله لا يمكن أن يكون الموافقة «بالتوافق»² في الدنيا
وهذا يعني نفي الصلابة في خلق الكون، كما تفيد نظرية "الانفجار العظيم".
أن هذا الكون ليس أزلياً إذ هو بدأ في وقت معين لا نعرفه، وإنما نعيش في عالم يزيد
حيثما نستمر³ في دليل على وجود الله بالقوانين الطبيعية والأدلة الكونية المادية
الجامدة لا يمكن أن تتحرك إلى الخارج بصفة منتظمة بدون محرك انبساطي أو
وأن كل شيء مادي لا يمكن أن يتغير في طبيعته ولا بد أن يحتاج إلى الله من أجله
للوجود، وهذا المرجح هو الخالق الإله، كما يقول الأستاذ إدوارد لوتش كسيل، العالم
الأمريكي في تعليقته على كتابه "THE MIDANCE OF GOD"⁽⁴⁾

عالم في الدنيا

الكتاب مقال منسوخ من كتابه "The Midance of God" - ربه يتحدى صالح نعمان

PARIS MATCH: Un débat métaphysique avec l'astronomie trinitarian.

2 - أبو الوليد ابن رشد. مناهج الأدلة في عقائد الملة. ترجمة لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق
الجديدة، بيروت، ط1، 1402هـ/1982م. ص 60-61.

3-AHMED ABDU-ESSALAM: L'Islam et l'Occident devant les conquêtes de la science concordance au conflit. L'U.N.S.C.O. 27-4-1984. pp16-17-18.

4 - وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص74.

2. الإيمان باليوم الآخر

من أهم الحقائق التي يدعوننا الإسلام إلى الإيمان بها قضية اليوم الآخر، إذ يخبرنا القرآن الكريم أن هذا العالم ليس بعالم نهائي، بل يعقبه عالم آخر، ولو أنه في الغيب، لكنه حقيقة واقعة. ولتأكيد هذا الخبر يقدم الأدلة بالعلم التحريبي¹، إذ يقول المولى عز وجل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾². فإذا كان لكل شيء زوج، - كما يقول وحيد الدين خان - الذي يستكمل به نفسه، فلا بد أن يكون لهذه الدنيا زوج، وزوج الدنيا هي الآخرة³.

فقد أعلمنا العلم الحديث أن سائر الذرات الكائنة في الخليقة توجد بأشكال أزواج، فهناك جسيمات مضادة للجسيمة، وذرة مضادة لذرة، ومتر مضاد للمتر، وعالم مضاد للعالم. ولكن لا يمكن الإخبار تفصيلاً عن ذلك العالم المضاد بالقوانين المعلومة للطبيعة⁴.

ثالثاً: إِبْرَازُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لْجَانِبِ مِنْ هَذَا الْكَوْنِ الَّذِي قَرَّرَهُ اللَّهُ لَنَا مِيزَانًا نَحْتَكِمُ إِلَيْهِ

فَالْقُرْآنُ يَدْعُونَا لِأَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَسْلِمُ نَفْسَهُ خَالِقَهُ ذَلِكَ سِلَا وَخَاشِعًا، وَلِتَأْكِيدِ هَذِهِ الْمَطَالِبَةِ لَمْ يَسْتَخْذَمْ الْأَدْلَةَ الْفَلَسْفِيَّةَ، بَلْ اسْتَخْذَمَ أَدْلَةَ الطَّبِيعَةِ، إِذْ تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الْأَحْكَامَ الْإِلَهِيَّةَ لِتُمَثِّلَ لَنَا فِي الْكَوْنِ مِنْ خِلَالِ نَمَازِجٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا

1 - المصدر السابق، الباب الخامس، ص 110-194.

2 - سورة الذاريات، آية 49.

3 - وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 110.

4 - المصدر السابق، ص 111.

التحديد في علم التوحيد ----- د. صالح نعمان

عبادة الله في ظل الاتصال بقوانين الطبيعة، ومثل السلوك الممتاز القوي المتمثل في الحديد، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾¹. ومثل سفر الحياة دون اصطدام مع الكواكب الأخرى في مداراتها، كما بينه الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾². ومثل التضامن والتعاقد كما في أعمال النحل، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾³. ومثل الإفاضة على الناس دون أي تمييز كما تفعل أشعة الشمس. والأمثلة كثيرة.

فهذا الأسلوب للدعوة إلى التوحيد والطاعة الإلهية إنما هو أسلوب طبيعي يقوم على الاستدلال الكوني الذي هو إرهاب لا زدهار علم الإنسان وعمله. وإذا ما أخذنا هذا الأسلوب واستعملناه بطريق مؤثر، فسنجد قلوبا واعية وآفاقا صاغية للإنسان في المجتمع البشري. وهذا يعني أن القرآن يجعل الأخلاقيات الكونية نموذجا لأخلاق الإنسان وسلوكه، ويدعوه إلى ذلك حتى لا يتخذ الكون مقياسا له في المجالات المادية فقط، دون أن يتخذ الكون مقياسا أخلاقيا له كذلك⁴.

1 - سورة الحديد، آية 35.

2 - سورة يس، آية 40.

3 - سورة النحل، آية 69.

4 - وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 116.

التحديد في علم التوحيد **الأسلوب البسيط للكلام** **رابعاً:** اتخاذ الأسلوب البسيط هو الأسلوب الذي فيه سداحة بحسب الحقيقة، وسير الطبيعة، وهو يتجلى من الرخوة، والمعمّل لخميلة قاله العربي يعشّي على قطوته، ونطيق على شجته، حوله أن يكون قد لم يشي من منطق أو سلطان البعير فتدلكا على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، الأثر يدل كله على الله اللطيف الخبير¹. فهذه الكلمات الصنعية بالمنهج التجريبي القائم على الملاحظة، وأقرب إلى التأثير في الضمير وأقله على إقناع العقل من أي صيغة قياسية². وذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان على فطرة بسيطة، وإذا كان الكلام بسيطاً سهلاً خلوا من التعقيد، سيسترعى طبيعة الإنسان وينفذ إلى أعماقه ويستقر على وجوده. بخلاف الكلام الصنعي المعقد الذي لا يتشربه طبيعة الإنسان، ولا تستطيع أن تحضمه لهضمها ضحيها، أو لا يمتسكه بركبته³، وهو الأسلوب الذي أتى إليه علم الكلام القديم، حين أصبح يخاطب الناس بكلاماً معقلاً مجرداً لا يقع في الخاصة، ولا تفهمه العامة، حتى الثابت، والكثير من الأسلوب بالاقوال وفيه خطر مفكرتها في فهمه تلك الحق. ذلك الأسلوب الذي يقدم الكلام معقولة والحقيقة حقيقة، كما هو الأسلوب الغلفي الذي يعلو نتاج القوة العلمية، ولكن في الحقيقة أسلوب قديم أسسه إله إذ يعلو القرآن الكريم أول كتاب قام على الموضوعية والحقيقة التاريخية.

وبناء على ذلك كان لزاماً علينا العودة إلى أسلوب القرآن والإمام أحمد ع

1 - عبد الصبور شاهين، تقديمه لكتاب "الإسلام يتحدى"، ص 14.

2 - عبد الصبور شاهين، تقديمه لكتاب "الإسلام يتحدى"، ص 14.

3 - وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 116.

